ومتصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » 27 .

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا للأنبياء . والمرتان الأخريان فى رؤيا العزيز ، وقد صدقت . وفى آيتها عبر عنها القرآن على لسان الملك بالرؤيا لوضوحها فى منامه وجلائها وصدق الهامها ، وان بدت للملأ من قومه هواجس اوهام واضغاث احلام .

« وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني فى رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» سورة يوسف 43 ــ 44 .

وتمضي القصة فى سياقها القرآني ، فاذا هي رؤيا صادقة وليست كما بدت للملأ من قوم الملك اضغاث احلام .

*

آنس وابصر :

فى المعاجم : آنس الشيء ابصره ، والصوت سمعه ، واستأنس استأذن .

فهل نقول فى « آنس نارا » ابصرها، او نظرها، او اشبه ذلك من الالفاظ التي يحتمل ان تتعاقب على هذا المعنى ؟

نستقرىء الاستعمال القرآني فيعطينا حس العربية المرهف لا تقول : آنست فى الشيء تبصره او تسمعه دون أن يؤنس .

فاذا قال العربي : آنست ، فقد رأى او سمع ما يؤنسه . والقرآن قد استعمل الفعل «آنس» خمس مرات ، منها اربع فى النار التي رآها موسى عليه السلام حين سار باهله فى البرية فانس اليها . وهذه آياتها :

طه 10 :

« اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » .

النمل 7 :

« اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » .

القصص 29 :

« فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون » .

والمرة الخامسة فى آية النساء :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » .

ليس الايناس هنا مجرد ابصار لظواهر الرشد المادية الحسية، ولكنه الطمانينه المؤنسة ، بعد الابتلاء والامتحان ، الى أنهم قد رشدوا حقا .

وجاءت من المادة فى القرآن صيغة الفعل المضارع من الاستئناس فى آية النور :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » 27 .

والاستئناس فيها ليس مجرد استئذان ، وانما هو حس الايناس لاهل البيت ممن يدخل عليهم . ولا يسوغ فى ذوق العربية ان يقال مثلا : استأنس الشرطي . أو جابي الضرائب أو الدائن ، وانما هو الاستئذان ليس فيه حس ايناس .

كما لا يسوغ استعمال « آنس » فى رؤية عدو، او سماع هزيم رعد او زئير وحش .

*

الانس والانسان (1) :

وحس الانس نقيض الوحشة ، هو الملحظ العام المشترك فى الدلالة لكل صيغ المادة .

ومنها الانس والانسان :

يلتقيان فى الملحظ العام لدلالة مادتهما المشتركة « ا ن س » على نقيض التوحش .

---

1) قدمت الاستقراء الكامل لآياتها فى كتابي « مقال فى الانسان » « دراسة قرآنية » المعارف 1969 .

لكنهما لا يترادفان ، بل ينفرد لفظ الانسان بملحظ خاص من الدلالة يميزه عن الآخر .

لفظ الانس يأتي في القرآن دائما مع الجن على وجه التقابل يطرد ذلك في كل الآيات التي ورد فيها اللفظ تسميا للجن ، وعددها ثماني عشرة آية .

وملحظ الانسية فيه ، بما تعنى من نقيض التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلته بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء الذي هو من ظواهر التوحش .

وبهذه الانسية يتميز جنسنا عن اجناس اخرى خفية مجهولة غير مألوفة لنا ، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا .

وأما الانسان فليس مناط انسانيته فيما نستقرىء من آيات البيان المعجز ، أنه انس فحسب ، وانما الانسانية فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله لاحتمال تبعات التكليف وأمانة الانسان ، وما يلابس ذلك من تعرض للابتلاء بالخير والشر (1) .

وقد ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم : في خمسة وستين موضعا نتدبر سياقها جميعا فنهتدينا الى الدلالة المميزة للانسانية .

هو في جنسه العام انس :

« خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار » آية 14 سورة الرحمن .

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

آية 24 سورة الحجر .

لكنه مع انسيته يختص بالقراءة والعلم (العلق) والبيان (الرحمن) والكسب والتكليف (الانسان ، النجم 39 ، القيامة 14 ، الاسراء 17) . والجدل (الكهف 54) .

ويحتمل الوصية (لقمان 14 ، العنكبوت 8) .

وهموم المكابدة واقتحام العقبة (البلد 4) .

ويحمل الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها (الأحزاب 72) .

وهو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية (الفرقان 29 ، ق 16 ، الحشر 16 ، الانسان 2 ، 4 ، الفجر 15) .

ويزدهيه الغرور فيطغى ويستكبر ، ويضله وهم الاستغناء عن خالقه (العلق 6) وما أكثر ما يذكر القرآن الانسان بضعفه وهو انه كبحا لجماح غروره كيلا يتجاوز قدره فيطغى ! وهو مظنة ان يتمادى به الطغيان والغرور الى حد الكفر بخالقه والوقوف منه سبحانه موقف خصيم مبين (النحل 4 ، مريم 67 : الانفطار 6 ، فصلت 49 ، الزخرف 15 ، عبس 17 ، العاديات 6) .

*

النعمة والنعيم :

وكذلك يلتقي لفظا « النعمة والنعيم » في الدلالة العامة لمادتهما الواحدة المشتركة ، ثم ينفرد كل منهما في البيان القرآني بملحظ خاص يميزه عن الآخر فلا يترادفان .

والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرق بين الصيغتين ، والمفسرون يؤولون النعيم بكل ما تحتمله الدلالة المعجمية للمادة .

ونستقرىء الصيغتين في القرآن كله ، فنراه يفرق بينهما تفرقة واضحة :

كل نعمة في القرآن انما هي لنعم الدنيا على اختلاف انواعها . يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها ، مفردا وجمعا ، في القرآن وعددها ثلاثة وخمسون موضعا .

أما صيغة النعيم فتختص بنعيم الآخرة . يطرد ذلك ايضا ولا يتخلف في مواضع استعمال القرآن لها وعددها ستة عشر موضعا .

منها خمسة عشر موضعا لا يحتمل صريح سياقها اي تأويل :

التوبة 29 :

« وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

---

(1) انظر تفصيل ذلك الاستقراء في الجزء الثاني من كتابي (التفسير البياني) .

الطـــور 17 :

« ان المتقين فى جنات ونعيم » .

الواقعـــة 89 :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنـــة نعيـــم »

المعـــارج 38 :

« ايطمع كل امرىء منهم ان يدخل جنـــة نعيـــم »

المطففـــون 22 :

« ان الابرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون. تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » .

الانســـان 20 :

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »

« واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا »

المائـــدة 65 :

« ولأدخلناهم جنات النعيم »

يـــونـــس 9 :

« تجري من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » .

الحـــج 56 :

« الملك يومئذ لله ، فالذين آمنوا وعملـوا الصالحات فى جنات النعيم » معها آيتـا : الصافات 43 ، الواقعة 12 .

لقمـــان 8 :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهـم جنات النعيم » .

القلـــم 34 :

« ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

الشعـــراء 85 :

« واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

وتبقى آية التكاثر :

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم »

ولا نستطيع امام اطراد تخصيص القرآن صيغة النعيم لنعيم الآخرة ، ان نفسرها بما حشدت كتب التفسير فيها من نعم الدنيا التي لا تاتي فى القرآن الا بصيغة نعمة او نعماء .

وسر البيان فيها ان الذين الهاهم التكاثـــر فى اعراض الدنيا عن التزود لأخراهم سيسألون يوم يرون الجحيم عين اليقين ، عن النعيم الحق ما هو . وعندئذ يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي اضاعوه والهاهم عنه التكالب على نعم الدنيا الفانية واعراضها الزائلة(1)

النـــاى والبعـــد :

يأتي بهما جمهرة اللغويين والمفسرين ، تأويـــلا لاحدهما بالآخر ، دون اشارة الى فرق بينهما .

وفرق بينهما من انكروا الترادف . ونستقرىء مواضع الاستعمال القرآني للناى والبعد فلا يترادفان:

فليس فى القرآن ناى ، الا بمعنـــى الاعراض والصد والاشاحة ، بصريح النص والسياق فى آيات .

الاسراء 83 :

« واذا انعمنا على الانسان اعرض **وناى** بجانبه »

الانعـــام 26 :

«حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ، وهم ينهون عنه**ويناون** عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون »

اما « البعد » فيأتي فى القرآن على الحقيقـــة او المجاز ، فى البعد المكاني او الزماني . المادي منهما والمعنوي ، كما هو واضح فى آيات : .

التوبـــة 42 :

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعـــوك ولكن **بعدت** عليهم الشقة »

ســـبـــا 19 :

« فقالوا ربنا **باعد** بين اسفارنا »

---

1) أوضحت ذلك بمزيد تفصيل فى تفسير سورة التكاثر بالجزء الأول من (التفسير البياني للقـــرآن الكريم) .